



الشفاعة

والشفاعة يوم القيمة حق، يشفع قوم في قوم فلا يصيرون إلى النار، ويخرج قوم من النار بعدما دخلوها بشفاعة الشافعين، ويخرج قوم من النار برحمه الله بعدما لبשו فيها ما شاء الله، وقوم يخلدون في النار أبداً، وهم أهل الشرك والتسبيب والمحود والكفر بالله عز وجل، ويذبح الموت يوم القيمة بين الجنة والنار.

ذكر رحمه الله تعالى ما يتعلق بالشفاعة، والكلام في الشفاعة مهم للغاية، لأن كثيراً من الواقعين في الشرك يقعون في الشرك باسم الشفاعة، بل حتى من كان قبل الإسلام إنما كانوا يعبدون معبوداً لهم طلباً لشفاعتها، فيحتاج إلى الكلام عن الشفاعة والتوضيح فيها نظراً لأهمية تبيتها، فيقال:

أولاً: الشفاعة لله تعالى، الذي يملك الشفاعة هو الله وحده لا سواه، قال تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جِبِيلًا﴾⁽¹⁾ كما قال سبحانه وتعالى: ﴿إِلَيْهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْدِ﴾⁽²⁾ فكما أن الأمر لله هو الذي يصرفه كما شاء، فالشفاعة له تعالى هو الذي يملكها، ثم إنه يأذن بالشفاعة سبحانه وتعالى بشروط وفي وقت، فالشفاعة موضعها يوم القيمة كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا يَأْذِنَهُ﴾⁽³⁾ وقال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أُذِنَ لَهُ الرَّجْحُونَ قَرِبَنِي لَهُ﴾⁽⁴⁾ حيث تقع الشفاعة يوم القيمة، فإذا علمنا أن الشفاعة لله تعالى؛ فلابد أن نعرف شروطها، الشفاعة لا بد فيها من شرطين اثنين دلت عليهما النصوص في كتاب الله تعالى وسنته نبيه صلى الله عليه وسلم.

الشرط الأول: إذن الله تعالى بالشفاعة كما قال سبحانه: ﴿فَمَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا يَأْذِنَهُ﴾⁽⁵⁾ ، فلا يمكن أن يشفع عند الله تعالى حتى يأذن الله لأنه هو الذي يملكها سبحانه وتعالى، فما دام الله تعالى هو الذي يملكها كما في قوله: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جِبِيلًا﴾⁽⁶⁾ فلا يمكن أن يقدم أحد ليشفع، ولا يصح أن يقدم أحد ليشفع إلا إذا أذن رب العالمين سبحانه وتعالى.

الشرط الثاني: أن يرضي الله تعالى عن المشفوع له، ولا يرضي الله إلا عن أهل التوحيد، أما أهل الشرك فهم أبعد ما يكون عن الشفاعة، فأسعد الناس - كما قال صلى الله عليه وسلم - «أسعد الناس بشفاعتي من قال: لا إله إلا الله - خالصاً من قلبه -»⁽⁷⁾ هؤلاء هم أسعد الناس بالشفاعة، ودلل على شرط الرضا قوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِنَسْ أَرْضَى﴾⁽⁸⁾ ، وقال تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلْكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ يَعْدِ أَنْ يَأْذِنَ اللَّهُ لِنَسْ يَشَاءُ وَقِرْضَى﴾⁽⁹⁾ هذه الآية في سورة النجم جمعت الشرطين معاً، شرط الإذن وشرط الرضا ﴿وَكَمْ مِنْ مَلْكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ يَعْدِ أَنْ يَأْذِنَ اللَّهُ لِنَسْ يَشَاءُ﴾ هذا شرط الإذن، ﴿وَقِرْضَى﴾ أن يرضي عن المشفوع له سبحانه وتعالى.

أنواع الشفاعة:

النوع الأول: الشفاعة العظمى، وهي الشفاعة الخاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم، لا يتقديم لها أحد سواء، وذلك أن الناس في ذلك اليوم العظيم - يوم القيمة - حيث تُدنى الشمس بمقدار ميل، وتأخذ الناس الشدائداً من جهات عدة، فيقولون لأدم عليه الصلاة والسلام: أنت أبو البشر، خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته؛ ألا ترى ما بنا؟ اشفع لنا إلى ربك، يعني اشفع عند الله عز وجل أن يصل إلى الحلاق وأن يرحمهم من هذا الموقف العظيم الحال، فيعتذر آدم ويذكر الخطيبة التي وقع بها، ويأمرهم أن يذهبوا إلى نوح، فيذهبون إلى نوح يقولون: سماك الله عباداً شكوراً، وأنت أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض؛ اشفع لنا إلى ربك؛ فيعتذر، ويأمرهم أن يذهبوا إلى إبراهيم ويطلبون منه الشفاعة فيعتذر ويخفهم إلى موسى، ثم يعتذر موسى، ويخفهم إلى عيسى، ثم يعتذر عيسى ويخفهم إلى محمد صلى الله عليه وسلم وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، فإذا أتوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وطلبوه منه الشفاعة؛ هل يشفع؟ النبي صلى الله عليه وسلم أعلم الناس بالله، لا يمكن أن يشفع مباشرة! لأنه لا بد من الإذن بالشفاعة: ﴿فَمَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا يَأْذِنَهُ﴾⁽¹⁰⁾ ، فيذهب صلى الله عليه وسلم ويختر تحت العرش ساجداً صلى الله عليه وسلم، جاء في بعض

الروايات أنه يمكنه جمعة، يعني يمكنه أسبوعاً ساجداً عليه الصلاة والسلام⁽¹¹⁾ ، ويفتح الله عليه فيحمد ربه بمحامد لم يكن يعرفها قبل ذلك، ثم يأتيه الإذن "يا محمد، ارفع رأسك" يعني من هذا السجدة "وقل يسمع، واسمع شفاعة" فلما جاء الإذن ارتفع عليه الصلاة والسلام فقال: "أمي يا رب؛ أمي يا رب"⁽¹²⁾ صلوات الله وسلامه عليه، فيأذن الله تعالى بفضل القضاء في الموقف، وهذا هو المراد بالمقام الحمود الذي قال الله: ﴿عَسَى أَنْ يَعْلَمَكَ رَبُّكَ مَقَاماً حَمُودًا﴾⁽¹³⁾ فإنه يحمده عليه الحال جميعاً على أن الله تعالى قبل شفاعته ففصل بين العباد في ذلك اليوم العظيم، هذه الشفاعة خاصة به عليه الصلاة والسلام.

ومن الشفاعة الخاصة أيضاً شفاعته في أبي طالب، فإن أبو طالب مات على الكفر بلا شك، وفيه نزل قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آتَوْا أَنَّ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلَى قُرْبَى مِنْ بَعْدِهِ فَمَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَنَّمِ﴾⁽¹⁴⁾ فيشفع صلى الله عليه وسلم لأبي طالب لا ليخرج من النار! لأنه هلك كافر، لكن ليخفف عنه من عذابها، فيخرج من دركاتها إلى ضحاض من نار، يجعل - نسأل الله العافية والسلامة - تحت أحخص قدميه جمرة يغلق منها دماغه بعد أن حُفِّفَ عنه - نعوذ بالله من النار ومن حال أهلها - .

هناك شفاعات أخرى يشتراك فيها النبي صلى الله عليه وسلم وغيره، ومنها الشفاعة التي أنكرها أهل الضلال من المعزلة وأصرارهم مع تواتر الأحاديث بما، وهذه أنكرها الخوارج، وهي الشفاعة في العصاة الذين دخلوا النار، العصاة من المؤمنين الذين دخلوا النار وهم من أهل التوحيد يقعون في النار ما شاء الله أن يقعوا فيها - نسأل الله



العافية والسلامة - ثم إن الله يأذن بالشفاعة، فإذا أذن بالشفاعة تشفع الأنبياء والملائكة والصالحون ويشفع الأفراط - الصغار - في آبائهم، هذه أصناف أربعة تشفع، وجاء في حديث أنه صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الْمُعَانِينَ لَا يَكُونُونَ شَفَاعَةً وَلَا شَهَادَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ»⁽¹⁵⁾ - نسأل الله العافية والسلامة - لأنه لا يشفع إلا الصالحون، واللعانون - أصحاب اللعن والشتائم - هؤلاء قد أبعدوا عن الصلاح، فتشفع الملائكة والأنبياء والصالحون ويشفع الأفراط في آبائهم بإذن الله تبارك وتعالى؛ فيخرج هؤلاء العصاة من النار، وهم من أهل التوحيد ومن أهل الصلاة - كما قلنا - ممن يعرفون في النار بأن النار لا تأكل موضع السجود منهم؛ فيخرجون من النار بعدما امتحنوا وصاروا حمماً، ثم يخرجون إلى الجنة بعد أن عوقبوا في النار على حسب ما وقع منهم من الجرائم والذنوب، إلى غير ذلك من أنواع الشفاعة.

فيقول: «الشفاعة يوم القيمة حق، يشفع قوم» وهم كما قلنا: الملائكة والأنبياء والصالحون والأفراط «في قوم» يعني من الموحدين، فلا بد فيها من الشرطين، شرط الإذن وشرط أن يرضي الله عن المشفوع فيه كما قال تعالى: «وَمَنْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرِضِي»⁽¹⁶⁾.

«يشفع قوم في قوم فلا يصيرون إلى النار» هذا نوع من الشفاعة، أناس قد استوجبوا النار ليدخلوها فيتشفع فيهم فلا يدخلون النار، نوع آخر أناس قد دخلوا النار يشفع فيهم فيخرجون من النار، وهذا قال في الصنف الذي بعده: «ويخرج قوم من النار بعدما دخلوها بشفاعة الشافعين».

قال: «ويخرج قوم من النار برحمته الله بعدما ينتهي فيها ما شاء الله» هؤلاء يخرجون برحمته الله عز وجل بعد انتهاء الشفاعة، بعد أن تنتهي الشفاعات يخرجهم سبحانه وتعالى ويقول: «شفعت الملائكة وشفعت الأنبياء وشفع الصالحون؛ ولم يبق إلا رحمة أرحم الراхمين»⁽¹⁷⁾.

قال: «قوم يخالدون في النار أبداً» من هم هؤلاء؟ هم الكفار، يقون في النار أبد الآباد، لا يخرجون منها نهائياً، قال تعالى: «وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ»⁽¹⁸⁾ ، وهؤلاء هم أهل الكفر والشرك الذين يموتون عليه «إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَقَاتَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ»⁽¹⁹⁾ ، فمن مات على الكفر؛ سواء أكان كفراً أصلياً كفراً اليهود والنصارى بعد أن بعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم وأبوا اباهه فإن هؤلاء كفار، أو كان مرتدًا بأن ارتد من الإسلام إلى الشرك والكفر، أو كان من المشركين من عباد الأولان وأضرابهم، أو كانوا من ليس لهم دين كالملاحدة وأضرابها، هؤلاء جميعاً يكعون من أهل النار الماكين فيها - نسأل الله العافية والسلامة - أبداً أبداً، وهذا قال: «وَهُمْ أَهْلُ الشَّرِكِ وَالْكَذِبِ وَالْمَحْوِدُ وَالْكُفَّارُ بِاللَّهِ».

قال: «ويذبح الموت يوم القيمة بين الجنة والنار»، ينادي منادٍ بين الجنة والنار فيعرض الموت فيقال: يا أهل الجنة أتعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، فيقال: يا أهل النار؛ فيقال: نعم، يقول صلى الله عليه وسلم: «وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ» يعني قد ماتوا ورأوا الموت، فيذبح بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت، فمعظم فرحة أهل الجنة بمقتهم الأبدى، وتشتد حسرة أهل النار، وهذا فسر النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: «وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحُسْنَةِ»⁽²⁰⁾ المراد بالحسنة حين يذبح الموت بين الجنة والنار قال صلى الله عليه وسلم - بقية الحديث - «وَأَهْلُ الدُّنْيَا فِي غَلَّاتِهِمْ»⁽²¹⁾ والله المستعان.

(1) الزمر: 44.

(2) الروم: 4.

(3) البرة: 255.

(4) طه: 109.

(5) المقرة: 255.

(6) الزمر: 44.

(7) صحيح البخاري (99) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.

(8) الأنبياء: 28.

(9) النجم: 26.

(10) البرة: 255.

(11) صحيح ابن حبان (6476) من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه مرفوعاً. التعليقات الحسان (9/ 211).

(12) صحيح البخاري (7510) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعاً.

(13) الإسراء: 79.

(14) الطوبه: 113.

(15) صحيح مسلم (2598) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعاً.

(16) النجم: 26.

(17) صحيح مسلم (183) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعاً.

(18) البرة: 167.

(19) المائد: 72.

(20) مريم: 39.

(21) صحيح البخاري (4730) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً بسجدة.



شرح اعتقاد حرب الكرماني

اعتقاد حرب الكرماني

